

وقد شرح القرآن شيئاً من هذا التصور كما يقول تعالى: **وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَالَ لَوْلَا أَخْرَلَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ** ﴿١﴾. ولذلك يعرف الناس قصصاً كثيرة لمقاتلين تمرغوا فوق ويعرف الناس بالمقابل أصحاب أشداء داهمهم الموت لماذا؟ لأن هذه الآجال محسومة قبل أن يخلق الناس، بل إن بعض الجهلة إذا ذكر له أن رجلاً من الناس مات في سبيل الله يقع في قلبه أن سلامته هو من هذا الموت الله ! وهذا نظير تفكير عبد الله بن أبي حين حكى الله تصرفه ومقالته : **وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَبْتُكُمْ مُحْسِبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا** . ولا يخطر بباله أن هذا الموضوع الذي يمر به يحتمل أن يكون هو الذي كتب الله وفاته فيه بعد كذا وكذا من المراد أن هذه اللحظة القادمة التي تنتظرنـي وتنظرـك لحظة لا تقبل التأجيل ولا التقديم، قررها الجبار جـلالـه، كما قال تعالى: **وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً** ومن جملة التعلق بالأسباب المادية أن كثيراً من الساسة والأثرياء يتوهمنـون أنـهم في قصورـهم المشيدة أبعد عن مخاطر الموت من سكان الشقق والصفـح والأحياء العشوائية والقرآن يكشف هذا الشعور المزيف، حيث يقول تعالى: **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ وَلَذِكْ فَإِنْ فَرِيقًا مِنَ النَّاسِ يَكْرَهُ فَرِيضَةَ (الجَهَاد)** لأنـه يظنـ أنها تقربـه للموت! وينسى أنـ الموت قررتـ له ساعة فحتـى لو سلمـت من خطر معين، وسيأتيـ خطرـ لنـ تفرـ منه . «التحـايد». وأما التـحايد فهو أشبـهـ بـمحاـولةـ التـحاـشـيـ عنـ سـهـامـ الموـتـ، وهوـ أنـ الإـنسـانـ يـسـيرـ الـقـدرـ المـخـبـوـ، حيثـ يقولـ تعالى: **قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ أَوْ مُسْتَشْفَى أَوْ غَيْرَهَا سَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْ عَمَرِهِ، عَقْلِيَّةٌ بِحَتَّى، وَمَا يَمُورُ فِيهَا مِنْ الأَحَاسِيسِ؛ أَنْ بَعْضَ النَّاسِ يَكْرَهُ ذَكْرَ الْمَوْتِ، وَأَنَّهُ حِينَ يَذْكُرُهُ الْمَشْرُوَّعَةُ فِي مَدَافِعَةِ الْمَوْتِ؛ يَظْنُ أَنَّهُ سَيُؤْجَلُ يَوْمَ الْمَكْتُوبِ، حِينَ قَالَ تَعَالَى:** **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَقْرُونَ تَبَكِيَّاً** وافتـرضـ أنـ خطـراًـ منـ الأـخـطـارـ فـحتـىـ ماـ سـتـيشـهـ بـعـدـ ذـلـكـ سـيـظـلـ فـترةـ زـمنـيةـ يقولـ تعالى: **لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ** منـ الناسـ منـ سـيمـوتـ فيـ هـذـاـ الشـهـرـ، النـهاـيـةـ الـمحـتـومـةـ. سـاعةـ مـكتـوبـةـ قـرـيبـةـ مـنـ سـنـغـارـ فـيهـ هـذـهـ الـحـيـاةـ. السـمـاـواتـ وـالـأـرـضـ بـخـمـسـيـنـ أـلـفـ سـنـةـ، نـحنـ نـسـيرـ إـلـيـهاـ الـآنـ بـالـعـدـ التـناـصـيـ . فـإـذـاـ كـانـ الـعـامـ الـماـضـيـ يـفـصـلـنـاـ عـنـهـ ثـلـاثـ سـنـينـ، دـقـيقـةـ مـنـ هـذـهـ الـلـحـظـةـ الـحـاسـمـةـ لـلـانـتـقـالـ لـلـدـارـ الـآخـرـةـ جـلسـنـاـ فـيـ مـنـزـلـهـ وـقـدـمـ بـعـضـ النـاسـ يـعـزـونـ، وـمـكـثـ لـيـالـيـ وـصـورـتـهـ لـاـ تـفـارـقـ وـأـعـيـدـ تـذـكـرـ كـلـ كـلـمـةـ قـالـهـاـ حـينـ كـانـ فـيـ ضـيـاقـيـ الـأـرـبـاعـ الـذـيـ سـيـقـ وـفـاتـهـ. أـزـيزـاـ فـيـ دـاخـلـيـ مـاـ لـسـطـعـتـ. وـالـمعـزـونـ يـقـدـمـونـ عـلـيـهـمـ، أـطـالـعـ وـجـوهـ النـاسـ، لـلـعـزـاءـ، وـيـوـسـدـ لـحـدـهـ، فـيـ مـكـانـيـ لـاـ أـعـرـفـ مـاـ أـصـنـعـ . ثـمـ اـتـصـلـتـ، الـمـتـهـجـ، وـسـأـلـتـهـ : أـبـوـ عـبـدـ الـكـرـيمـ . فـقاـطـعـنـيـ، عـبـدـ الـكـرـيمـ يـطـلـبـ الـحـلـ. اـنـتـظـرـنـاـ سـوـيـعـةـ، وـكـشـفـ لـنـاـ وـقـبـلـتـ بـيـنـ عـيـنـيـهـ حـيـاـ وـمـيـتـاـ يـاـ أـبـاـ عـبـدـ الـكـرـيمـ. ثـجـلسـنـاـ نـتـجـازـبـ أـطـرافـ الـحـدـيثـ، فـأـثـارـ صـاحـبـيـ مـسـأـلةـ (صلـاةـ الـجـمـاعـةـ لـلـمـسـافـرـ)، وـطـلـبـ مـنـيـ كـتـباـ عنـ هـذـهـ الـمـوـضـوـعـ . ثـمـ اـسـتـأـذـنـ صـاحـبـيـ وـغـادـرـ. وـفـيـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ الـذـيـ يـلـيـهـ اـتـصـلـتـ فـقـالـتـ لـيـ : تـوـفـيـ، صـمـتـ ، وـودـعـتـ الـوـالـدـةـ وـأـغـلـقـتـ الـهـاتـفـ، بـشـكـلـ خـاطـئـ، وـثـلـاثـيـنـ وـأـرـبـعـمـائـةـ وـأـلـفـ قـدـمـ إـلـىـ الـرـيـاضـ أـحـدـ أـقـارـبـيـ وـكـانـتـ بـيـنـيـ وـبـيـنـهـ مـوـدةـ حـمـيمـيـةـ خـاصـةـ، السـاعـةـ مـاـ رـأـيـتـ مـثـلـهـ فـيـ سـلامـةـ الـقـلـبـ لـلـنـاسـ،